دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	صراع الأجيال وحوار الثقافات في رواية التلميذ والدرس لمالك حداد
المصدر:	مجلة منتدى الأستاذ
الناشر:	المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة
المؤلف الرئيسي:	بوزيد، نسيمة
المجلد/العدد:	ع19
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2017
الشهر:	جانفي
الصفحات:	379 - 392
رقم MD:	925425
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex, AraBase
مواضيع:	الأدب الفرنسي، رواية التلميذ والدرس، حداد، مالك، النقد الأدبي، حوار الثقافات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/925425

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

صراع الأجيال وحوار الثقافات
في رواية "التلميذ والدرس" لمالك حداد

نسيمة بوزيد
المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار ❖ قسنطينة ❖ الجزائر

ملخص

حاول الاستعمار الفرنسي طمس الهوية الجزائرية طيلة قرن ويزيد من الزمن. كما حاول جعل الثقافة الفرنسية هي مصدر كل شيء كان نتيجة ذلك أن تخرج جيل وهو لا يعرف من لغته العربية سوى أقل القليل. منهم الكاتب مالك حداد الذي قال ذات يوم أثناء محاضرة له باللغة الفرنسية: "إن مأساتي تتجلى الآن بشكل أعمق إنني أقف أمامكم، لا أعرف كيف نتفاهم".

كان مالك حداد يحلم بغد أفضل، بجزائر حرّة، انطلق يخاطب الفرنسيين بلغتهم عبر شعره وثقافتهم التي استمدها منهم، فكانت وسيلة لهدم القهر والعبودية، وهو من جيل الأبطال الذين لم يرضوا الهوان ولم يتقاعسوا عن خدمة وطنهم، وقد أثرت فيه مسألة عجزه عن الكتابة باللغة العربية فصرح أكثر من مرة "إن الفرنسية هي منفاي الذي أعيش فيه" كتب مالك حداد رواية "التلميذ والدرس" باللغة الفرنسية، فصورت الجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع الجزائري، وكانت أكثر ارتباطا بالعالم وقد أجمع النقاد أن رواية

Abstract

Over more than a century, Algeria has been colonized by the French authorities. During this period, the French colonialism tried hard to abolish the Algerian identity. He also attempted to make from the French culture a source of everything. This, the French colonialism gave birth to a new generation who know only few about their mother language including the Algerian writer Malek Haddad who said once about eh Algerian revolution, "My tragedies manifested, I am now standing in front of you, without knowing how to communicate. Malek Haddad was dreaming of a better future where Algeria is free. Through his poetry, he was addressing the French people using their own language as well as their culture which he learned from them. this was a way to fight against oppression and slavery. Haddad was a member of the generation of herses who didn't fail to serve their country. His arability to write in Arabic language has affected him. He declared so many times "The French language is my exile where I live".

"**التلميذ والدرس**" هي أفضل رواياته وأكثرها حماسا وحيوية. وهي صورة لصراع نفسي كبير أدى إلى صراع أجيال بكاملها، غطت الرواية فترة من فترات الاحتلال الفرنسي عام 1945 ومجازر 8 ماي وتناولت موضوع الصراع الذي حدث بين فتاة جزائرية ووالدها الطبيب الجزائري أيضا، يعيشان في فرنسا واستطاعت الرواية دراسة الصراع القائم بين الفرد والمجتمع بطريقة فنية وأشكالها التعبيرية الخاصة والمتفردة.

Malek Haddad wrste the novel of "the pupil and the lesson" in French language to highlight social, political and cultural sides of the Algerian society in the past.

Many critics have noted that the novel "The pupil and the lesson" is Malek Haddad's best novels and the most enthusiastic one

The novel is an image to a psychological headache which leaded to a conflict between generations. It covered a period during the French colonialism in 1945 as well within the Massacres of May 8th. It discusses the struggle between an Algerian girl and her father. This latter who was a warm-hearted of person who hived with his daughter in France. The novel could study the conflict between an individual and a society in a very artistic expressive way

استطاع الكتاب الجزائريون أن يبرزوا كل تناقضات الحياة، والتدرجات المعقدة التي يعيشها الشعب الجزائري في مواجهة البرجوازية الفرنسية في أعلى مراحل تطورها. ومن هنا كانت الرواية الجزائرية الواقعية الانعكاس الآخر لكل تعقدات المجتمع.

فالرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية تناولت الثورة الوطنية بواقعية انتقاديه مستفيدة من الزخم الثوري الذي خلفته الثورة الوطنية على أرض الواقع.

ويقول الأدباء الناطقون بالفرنسية بأنهم عرب، وبأن أدبهم عربي، كقول مالك حداد: "نحن نكتب بلغة فرنسية لا بجنسية فرنسية"،[1] ويقول الكاتب مراد بوربون : "إن اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصا للفرنسين، وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة، إنما أية لغة تكون ملكا لمن يسيطر عليها ويطوعها للخلق الأدبي، ويعتز بها عن حقيقة ذاته القومية".[2]

فالأدب الجزائري فرنسي اللسان قد اهتم بتصوير ظلم الفرنسيين، وصوّر الفقر، والبؤس، والألم الذي عاشه الجزائريون في ظل الاستعمار. وهذا ما نجده في روايات محمد ديب؛ "الدار الكبرى"، ومولود معمري؛ "الهضبة المنسية"، وكاتب ياسين؛ في "نجمة"، ومالك حداد؛ في "التلميذ والدرس"؛ حيث كانت بعض شخصيات هذه الروايات إما تمثل يتامى، وإما تجسّد دلالات اليتم، والنفي، والتمزق والحيرة. وفي ذلك دلالة واضحة على فداحة اليتم، وضياع الهوية، وغياب الجينالوجيا.[3]

إن هذه اللغة التي اتّخذها الجزائريون أداة للمقاومة، وعدّوها غنيمة حرب، ما لبثت أن تحولت لدى بعض الكتاب إلى نفي عن لغتهم الأم، كما عبر عن ذلك مالك حداد في مقولته: "سنقول لأولادنا الذين ذاقوا اليتم ألف مرة ستنجبون أطفالا لا يعرفون آباءهم".[4]

إن هذا التمزق والحرمان، لم يكن للشعب الجزائري، دور في تحصيله، بل عمل الاستعمار على تحطيم الشخصية الجزائرية من خلال كسر قيمها الثقافية والحضارية، بهدف تحقيق سياسة الفرنسة والاندماج.

نشأ الكّاتب الجزائري مالك حداد في هذا الجو الثقافي الأدبي الذي يسوده الصراع والتمزق، وشكلت اللغة الفرنسية سجنا له، ووقفت حاجزا بينه وبين بني جلدته ممن لا يتقنونها، واعتبرها منفاه واعتزلها غداة الاستقلال لبطلان الحاجة إليها، ولعل أهم مقولة تؤكد اعتزازه بقوميته قوله:**"نحن نكتب الفرنسي، ولا نكتب بالفرنسية"**

«Nous écrivons le français, nous n'écrivons pas en français».

يرى مالك حداد أن الكاتب إنسان عادي، لا ينبغي تحميله ما يفوق طاقاته، فهو ليس صانعا للتاريخ، بل شاهدًا عليه، لا يمتلك القدرة على تغييره بشيء، ولكنه يثمّن فعل الكتابة في واقعه، فيربط أهمية القلم الذي يحمله بأهمية الرشاش، أو مقبض المحراث.

ارتكزت السياسة التعليمية الاستعمارية في الجزائر على ثلاثة أسس: الفرنسية- التنصير، والإدماج، وعند تطبيقها لم تفتح أبواب التعليم الفرنسي في وجه الجزائريين إلا

في حدود ما يقضي له منطق الإدماج المعلن. واستهدفت هذه السياسة التعليمية المحور الشّخصي، والقضاء على الإسلام والعروبة تمهيدا لذوبان الجزائر الكامل في فرنسا.[5]

فقد فرض الاستعمار الحصار على الجزائر، ومنعت من الاختلاط بباقي الدّول العربيّة الإسلاميّة، حتّى يسهل عليه فصلها عن هذه الدّول بصفة تامة، حيث شرعت الإدارة الاستعمارية في تطبيق السياسة الفرنسية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، مبتدئة بالتعليم، خاصة بعد صدور القرار الصادر سنة والقائل:1954: "إن لغتنا هي اللغة الحاكمة... فإن قضاءنا المدني والعقابي، يصدر على العرب الذين يقفون في مساحة بهذه اللغة... وأهم الأمور التي ينبغي أن تعتني بها في كل شيء هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الرافضين للغة الفرنسية وبين الفرنسية والجهل والأمية".[6]

فالظروف التي مرت بها الجزائر، أدت إلى نشوء جيل متشبع بالثقافة الأوروبية الغربية، والثقافة العربية، فاللغة ليست مجرد أصوات يتواصل بها الناس فيما بينهم، بل هي مخزون حضاري يضرب بجذوره في أعماق التاريخ. وهذا التفاعل بين الثقافة الفرنسية والتراث العربي الإسلامي الجزائري ترك آثارا إيجابية، كما كانت له إسهامات متميزة، ومهمة في الأدبين الجزائري والفرنسي. فقد كتب أحد النقاد الفرنسيين مشيرا إلى مساهمة الروائي "مولود معمري" قائلا: "أدخل مؤخرا حيوية جديدة في الأدب القصصي الفرنسي".[7]

ويرد مولود معمري: "أكاد أقول أن ذلك حظ، وربما قيمة الكاتب الذي يعزف على وترين، أفضل من قيمة من يكتفي بأن يعبر عن شعوره بلسانه الخاص. ويجب اعتبار ذلك ثورة جزائرية تغني الثقافة الجزائرية، فلا يجب أن نبتر هذا الجزء، الذي هو حظ خاص بالجزائر كما اعتقده".[8]

اقتضت مصلحة فرنسا غداة الحرب العالمية الثانية أن تفتح للجزائريين باب الهجرة إلى فرنسا، ووجد هؤلاء في الهجرة فرصة لتحسين ظروفهم، وقد كان الروائيون

الجزائريون شهودا حقيقيين على واقع اجتماعي مأساوي، فقد تحدثوا في رواياتهم عن الأوضاع المزرية، والمشاكل الاجتماعية التي كانت تواجهها البلاد.

كما كان لحوادث 8 ماي 1945 حضور خاص في كتابات الروائيين الجزائريين؛ حيث استحضرها الروائي مولود معمري، وكاتب ياسين في روايته نجمة، والكاتب مالك حداد في ثلاثة من أعماله الأدبية: "رصيف الأزهار لا يجيب"، والانطباع الأخير"، و"التلميذ والدرس".

وقد ولد الشاعر والروائي مالك حداد بقسنطينة في 5 جويلية من عام 1927، المدينة الموغلة في أعماق التاريخ، كما نشأ بين قطبي الصخر نشأة محافظة تعتز بانتمائها للجزائر، والعروبة، والإسلام، وبين المدرسة النظامية التي كانت حكرا على أبناء الفرنسيين، وأبناء الأسر الوجيهة في المدينة، ورغم هذا حرص والده على تعليمه بمدرسة سيدي جليس الابتدائية، وكان والده -بالرغم من حداثة سنه- يرغمه على تحرير مواضيع الإنشاء الأدبي، ويحرص أن تكون دائما حول الشخصية الوطنية، والثقافية الإسلامية.[9]

كتب مالك حداد عدة روايات، وتعدّ رواية "التلميذ والدرس" إحدى أهمّ رواياته، وقد نشرت سنة 1960 وترجمت إلى عدة لغات، وجاءت في مائة وخمسة وعشرين صفحة، حيث ترجمها إلى اللغة العربية سامي الجندي لأول مرة، ثم الكاتب شرف الدين شكري، وأعادت طبعها دار النشر رولي جوليار لمرات عديدة؛ لأن هذه الرواية درس حضاري في جماليات الكتابة، وعلامة مميزة ليس في الأدب الجزائري فقط، وإنما في الآداب العالمية.

تندرج هذه الرواية ضمن الأدب الواقعي؛ حيث يذهب الدارسون إلى أن المدرسة الواقعية دفعت بالكتّاب على اختلاف ميولاتهم، وثقافتهم إلى التعبير عن واقع بلادهم من فقر، وبؤس، وحرمان، وتعطّش إلى الحرية، واستعباد، وظلم، وهجرة...، وغيرها من الموضوعات الجوهريّة التي تناولوها في كتاباتهم. فقد تبنوا الاتجاه الواقعي جاعلين من رواياتهم ميدانا خصبًا لتصوير الواقع الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي مستمدين مادتهم من معاناة الشعب.

فقد كان مالك حداد كغيره من الروائيين الذين عالجوا قضية الثورة، وصراع الشعب الجزائري مع الاستعمار. وتمثل هدفه في التنديد بممارسات الاستعمار، وتصوير الصراعات والآلام التي تسبب فيها، وأثرها على العائلة الجزائرية المتمسكة بدينها، وعاداتها، وتقاليدها، ومقاومتها. وقد كانت معالجته لهذا الموضوع متميزة بتقنيات فنية، ووسائل تعبيرية خاصة، ما جعل الرواية تحمل معالم شخصيته، وما تميز به من إمكانات فنية في رسم شخصياتها، وأحداثها، وفضائها بأسلوب تصويري فني راق.

صورت رواية "التلميذ والدرس" الجوانب الاجتماعية، والسياسية، والثقافية. وهي في جوهرها مونولوج طويل، يُندد بالاستعمار، وصرخة في وجه اللامبالاة واللامساواة، كما تمثل الحلم ببناء غد أفضل، ووضع حد للدروس الحضارية العنيفة. حيث لا نتعرف في الرواية، إلا على شخصيتين بارزتين هما: شخصية الأب إيدير، وشخصية الابنة فضيلة.

وهي قصة طويلة تحكي لنا حكاية أب وابنته الوحيدة، أحداثها مرتبطة بأحداث 8 ماي 1945، اختار مالك حداد المنفى لبث رموزه، واختياره لجيل المنفى المعبر عن رؤيا البطولة في صفوف المقاومة الجزائرية. ووضع الأب وابنته وجها لوجه لتحديد المفارقات والرؤى بين الجيلين، أو أجيال وفق مستويات بنيت بطريقة فنية بين: الحاضر، الّذي تمثله شخصية فضيلة.

- الغائب: وتمثله شخصية عمار صديق فضيلة.
- الماضي: ويمثله الدكتور إيدير.

وتقوم الرواية على حدث واحد هو الصراع بين الأب صالح ايدير، والابنة فضيلة ومطالبته بمساعدتها. فهذا الأب الطيّب، الكهل، القاطن في إحدى المدن الفرنسية بقي وحيدا بعد أن ماتت زوجته، نجد هويته مشتتة، مقسمة، وممزقة بين هويتين، فمن خلال الرواية نلاحظه أنه لم يعد يعرف حتى نفسه، ولم يتعرّف على ابنته في الوقت الحاضر، يقول:

«Je ne savais pas ma fille si belle, insolente, agressive, le temps n'a pas de mémoire je l'avais oublié le temps n'a pas de mémoire mais il est un artiste, et ces mots qui s'amusent, il fait beau temps».[10]

يقول صالح ايدير في بداية الرواية: "لم أعهد ابنتي، بهذا الجمال، بهذه الوقاحة والشراسة، ليس للزمن ذاكرة، نسيت ذلك، ليس للزمن ذاكرة، غير أنه فنان، وهذه الكلمات التي تتلهى : الجو جميل...".[11]

تحاول فضيلة إقناع والدها بحل مشكلتها، ومساعدتها على الإجهاض، والتستر على صديقها.

فالأب لم يعد يعرف ابنته، الّتي جعلته يعيش صراعا داخليا؛ حيث أرجعه تصرّفها إلى الماضي الّذي يُذكّره بهويته، والحاضر الذي يفرض عليه التأثر بالحضارة الفرنسية، وهي هويته الثقافية الثانية. ففي الرواية نوعان من الصراع؛ صراع الأنا مع ذاتها، وصراع الأنا مع الآخر.

- فصراع "الأنا مع ذاتها" يتمظهر من خلال استرجاع الرّاوي لأحداث كانت جزءًا من حياته، فيتحدّث عما جرى في بلاده الجزائر من احتلال فرنسيّ لأراضيها، وما تبعه من نهب، وسلب، وقتل، وتعذيب، كما نجده يعاتب نفسه على رحيله للعيش بفرنسا، وتركه لبلده، وهي في أمس الحاجة إليه.

كما يسترجع تفاصيل حياته مع زوجته وحبيبته، فهو يحن إلى الماضي، حتى ابنته لم يعد يعرفها، فكأنه نسيّ الزمان ؛ وامّحت ذاكرة، كما أن هذا الزمان قد تفنن في رسم ذكرياته، تفنن في وصفه فجعله يكبر، وكأن الزمن سبقه، وأدار له ظهره، بدليل أنه لم يتعرف على ابنته. لم يعهدها بهذا الشكل فصراعه، هنا كان صراعا مع الزمن. وقد تعددت أوجه الصراع في الرواية:

- الصراع مع الذات.
- الصراع مع نفسه بسبب ابنته.

– الصراع على وطنه الذي حل الخراب به: "تبدو المدينة الصغيرة نعسانة، إنها دائمة النعاس، هذه المدينة الصغيرة، فقد كان الجو حار جدا. تحت سقوفها، سطوحها وبحرها، وأما الليل، فقد قدم كامرأة، قدم مع فضيلة..."[12].

– ثم صراعه مع حبيبته.

– صراعه مع زوجته التي ندم على تركها.

– أما عن صراع الوطن:

– ترى صورة القرية التي كان يسكنها.

– ثم صراع الأب مع ابنته فضيلة حول قضيّة إجهاضها.

– الأب لم يتمكّن من التواصل مع ابنته.

– فضيلة وحدها تأخذ ، وتتكلم، ولم تجد إجابات لأسئلتها = صراع عقيم.

– الوالد = يقوم بعملية الإنصات.

– البنت = تقوم بعملية الكلام وطرح الأسئلة.

– لن أقول لها.

– ابنتي أنصت إليك يابنيتي.

– لم تأت لكي تشرح لي، جاءت لكي تحتج، تطالب، تصدر حكمها.

– رغم هذا فإن يدي ستضيعان دهشة في أغوار شعرها.

– ابنتي.

– نعم ابنتي.

"أنا بالكاد أب لها ... شرعيتي الوحيدة أستمدها من عاطفتي نحوها، من إيماني بأن الكلمات قد قضي على أمرها".[13]

ففضيلة تصارع أباها من خلال طرح الأسئلة:

– أنتظر ولدا ولا أرغب بهذا الولد.

كانت الكلمات ترتسم في الصمت.

– يرد الأب: "آه لو أنك جئت لكي تقبلينني، لكي تقولي: "أني"، لست سوى أبيك، ويا لهذه المصادفة التي جعلت هذا الأب طبيبا.

ثم تقول فضيلة:

– أريدك أن تعينني على إسقاط على إسقاط...؟

– على اسقاط...؟

– في هذه اللحظة وددت أن أقول:

– حدثيني عن الجزائر ...

– قليل علي، نشيد الإسقاط هذا.

فمضمون خطاب فضيلة كان يؤكد على أخطائي لم يكن علي أن أستقر في فرنسا بعد موت قرينتي...

– ما كان علي فعل ذلك.

– ما كان علي فعل هذا، ما كان علي فعل ذلك.

– لست إلا أنانيا منعدم الحس بلا ضمير، وطني ... منعدم الضمير، مناصرا للحلول البسيطة.

– لجأ للضفة الأخرى.

ثم يقول: "هي لا تطلب أي شيء هي تطالب، هي تأمر، وهذه اللهجة لا تعجبني ..."[14].

تقوم الرواية على عنصر التشويق الذي يترك القارئ ينتظر بفارغ الصبر النهاية التي تؤول إليها فضيلة، أو لنقل الجنين، وكذلك عن مصير عمار. ثم في النهاية يصور لنا الكاتب كيف يلتقي الدكتور ايدير صالح مع عمر، وكيف يتعاطف معه، وهو يحاول إيجاد حل للمعضلة التي وقعت فيها ابنته.

فمالك حداد يسيّر الأحداث وفق تباطؤ معين، وهو ليلة واحدة مرت من خلالها سنوات عبر التذكر، والاسترجاع، أما المكان فيتجلى في عيادة تواجه فيها فضيلة والدها

دون الخروج عن حدودها. والتقنية التي استعملها، واعتمدها هي تقنية الاسترجاع وعودته إلى الماضي.

وتتواصل الصراعات المتنوعة في الرواية مثل:

– الصراع السياسي: ما آل إليه الشعب الجزائري بعد أحداث ومجازر 8 ماي 1945، وقد تجلى هذا في الرواية؛ لأنه اليوم الذي ولد فيه كل الجزائريين، يقول الراوي: "لقد ولدت في 8 من أيار 1945 سنة الشقاء سنة المجزرة الرهيبة:

«Je m'appelle Idir, Idir Salah, je suis le docteur Idir et j'habite à la petite ville de France qui a sommeil depuis 1945».[15]

لم يعبر الروائي مالك حداد في هذه الرواية عن المجازر فقط، وإنما عن الصراع الذي يعاني منه من خلال شخصية فضيلة، وما تعانيه هي الأخرى من صراع داخلي، فلقد أثبتت شخصيتها كامرأة قادرة على القيام بمهمات خطيرة، فالفتاة التي عاشت طول عمرها معزولة ها هي اليوم منخرطة في معسكر، وهي المتسلطة والآمرة التي تقف في وجه أبيها دون خجل، فهي المعلمة، وأبوها هو التلميذ. فهي المرأة المثقفة بثقافة الآخر لكن باطنيا تعبر عن انتمائها إلى وطنها الجزائر، وإلى عروبتها وهويتها. ومن هنا تطرق مالك حداد إلى هويات ثقافية عدّة في الرواية:

1/ الهوية الثقافية الدينية: يقول الأب إيدير:

"عند عودتي، كانت فضيلة تدخن،.. فالتدخين في ديننا مكروه".

2/ تهرب الأب من مسؤوليته: يقول الأب ايدير:

"رغم ذلك فإن فضيلة تشعل سيجارة، كيف سمح لها عمار بالتدخين؟ صراحة أنا خارج اللعبة، وهنا أيضا يقول: "أرتكب خيانة".

3/ اللباس: بدأت فضيلة تنسلخ عن عاداتها وتقاليدها، وبدأ التأثر بثقافة الآخر من خلال لباسها: يقول الأب ايدير: إنها ترتدي سروالا رماديا مشدودا إلى خصرها بعنف. وجاء في الرواية:

«Elle porte un tailleur gris trop cintré sur les hanches»

4/ التدخين، وطلاء الأظافر: يقول الأب ايدير: "ولكن ما الذي ألحظه؟ فضيلة تضع صباغا أحمر على أظافرها... صباغ أحمر على الأظافر، سيجارة غولواز في فم هذه الجزائرية الجميلة.

5/ الجرأة والحرية: انسلخت فضيلة عن جذور حضارتها، وتمثلت بالمرأة الغربية، فأصبحت سلطة الأب منعدمة، فتغير سلوك فضيلة لما تتمتع به من جرأة وحرية.

6/ العلاقة قبل الزواج: اتسعت فجوة التمرد والتحضر، ففي الرواية تحول النظام الأبوي إلى نظام الابنة المتسلطة، والمتحررة من قيود المجتمع؛ لأن المرأة عانت الويلات من التخلف، والجهل أثناء الاحتلال، وعانت من تسلط الرجل عليها في ضوء العادات والتقاليد البالية، التي كانت سائدة في تلك الفترة.

صور مالك حداد من خلال رواية "التلميذ والدّرس" بوادر انسلاخ الجزائريّ عن مبادئه وعاداته، وطمس هويته الروحية، والثقافية، والتاريخية، هذا ما كانت فرنسا تهدف إليه من تمجيد الحضارة الفرنسية، تدريس التاريخ الفرنسي، وفرنسة اللسان الجزائري ورغم الحصار الفكري، وتعسف الاستعمار في تطبيق سياسة الفرنسة، وحرمان الشعب الجزائري من الثقافة العربية الاسلامية، إلاّ أنّه ظهر جيل يفكر، ويحس باللغة الفرنسية، ولكن ليست كما خططت له فرنسا، وهذا ما حاول تجسيده في روايته من حبه للوطن، وإيمانه بقضيته، والدفاع عن مبادئ دينه، يقول مالك حداد:

«La langue française est une barrière entre moi et ma patrie, plus fort que la barrière de la méditerranée, la langue française est mon exil».

ويمكن القول إن الأعمال الأدبية التي ظهرت في هذه المرحلة كانت تريد أن تبرهن للفرنسيين القدرة على الكتابة بالفرنسية دون خطأ، يقول جون دي جو في كتابه:[16]

«Pour l'instant, les auteurs veulent surtout montrer qu'ils sont des bons élèves et capables».

يُمكن أن نعتبر شكلا من أشكال التغيرات التي قد تطرأ على مجتمع ما، وهو بدوره يحاول أن يجد المعادلة الصحيحة للتعامل معها. فصمود الثقافة الجزائرية ضد المسخ الثقافي الذي عمدت إلى انتهاجه الإدارة الكولونيالية، وبغضّ النظر عما إذا كان الصراع سلبيا أو إيجابيا، فهو ضرورة ملحّة تحتاج إلى تأمل، ودراسة عميقة في قضية صراع الأجيال للأسرة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي، فحوار الثقافات ضرورة حيوية لمختلف الشعوب والحضارات؛ لأن الحوار أصبح لغة الشعوب، والثقافات، فالمثاقفة تفتح العلاقة بين الأنا والآخر؛ الأنا الذي لا يستطيع أن يعرف نفسه إلا بالتعرف على الآخر، والانفتاح عليه دون التماهي فيه أو الانسلاخ عن القيم والمبادئ لبناء صرح ثقافي متين، وهذا ما جسدته رواية "التلميذ والدرس" لمالك حداد بأسلوب شاعري محكم.

- فصراع الأجيال، وحوار الثقافات يتضمن في طياته الرغبة في محو الآخر، وإلحاقه، وفرض التبعية إليه بنظرة فوقية عدوانية.
- الاعتراف بخصوصية الاخر، واختلافه، وفي إطارها تتفاعل الجماعات والشعوب، وتتواصل بهدف الاغتناء المتبادل.
- أراد مالك حداد أن يوجه رسالة للشعوب المكافحة للتشبث بالثقة، والرغبة في التواصل، والتقدم، واكتساب العلم، والمعرفة.

اذا كانت الشعوب تسعى سعيا نحو الثقافات (أو المثاقفة)، فهي ترفض رفضا تاما أشكال الغزو الثقافي بجميع أشكاله، وقد عبر المهاتما غاندي عن ذلك قائلا: "إنني أفتح نوافذي للشمس، ولكني أتحدى أية ريح أن تقلعني من جذوري".[17]

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

1/ أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981

2/ أحمد يوسف، يتم النص، الجينالوجيا الضائعة، ط1، منشورات الاختلاف، 2002.

3/ سامي الجندي، مالك حداد التلميذ والدرس، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1972 .

4/ شرف الدين شكري، التلميذ والدرس لمالك حداد، دار النشر ميديا بليس ، 2009.

5/ عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية.

6/ عبد الرحمان شكري ، التلميذ والدرس.

7/ عبد الله حمادي، أصوات من الأدب الجزائري، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2000.

8/ عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص15.

9/ محمد الطمار تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

10/ نسيمة يعقوبي، دراسة كرونولوجية وفنية في روايات محمد ديب الأدبية، دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد ا لقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينـة، 2014-2015.

11/ بن احمد قويدر ، مفعولات المثاقفة على المثقف الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر،2001 – 2002.

باللغة الفرنسيّة:

1/Malek Hadad, l'élève et la leçon, média plus – Constantine, 2008,

2/Jean Déjeux, situation de la littérature magrébine de langue française, Alger 1988.

الإحالات:

[1] نسيمة يعقوبي، دراسة كرونولوجية وفنية في روايات محمد ديب الأدبية، رسالة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث والمعاصر، جامعية الأمير عبد ا لقادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينـة، 2014-2015، ص 44.

[2] محمد الطهار تاريخ الأدب الجزائري – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ص 451.
[3] أحمد يوسف، يتم النص، الجينالوجيا الضائعة، ط1، منشورات الإختلاف، الجزائر 2002، ص47.
[4] المرجع نفسه، ص 47.
[5] عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1954-1925)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص15.
[6] أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981 ص155.
[7] عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ص54.
[8] المرجع نفسه ص 55.
[9] عبد الله حمادي، أصوات من الأدب الجزائري، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2000، ص292.
[10] Malek Hadad, l'élève et la leçon, média plus - Constantine, 2008, P19.
[11] شرف الدين شكري، التلميذ والدرس، لمالك حداد، دار النشر ميديا بليس ، الجزائر، 2009 ص 9.
[12] المرجع السابق ص 9-10.
[13] المرجع نفسه ص 15.
[14] عبد الرحمان شكري ، التلميذ والدرس، ص 23-24.
[15] Malek Haddad l'élève et la leçon, média plus, Constantine 2008, P 11.
[16] Jean Déjeux : situation de la littérature magrébine de langue française, ALGER, 1988, p 124.
[17] بن أحمد قويدر، مفعولات المثاقفة على المثقف الجزائري، رسالة ماجستير جامعة تلمسان، الجزائر، 2001 /2002 ، ص 3.

تاريخ الإيداع/ 2016/02/12